الموروث الحضاري العثماني في شرشال في النصف الثاني من القرن 19 م وبداية القرن20 م من خلال وثائق المحاكم الشرعية

د/ بحيري يامنة
جامعة أبو القاسم سعد الله
الجزائر- 2 -

الملخّص:

من المهم أن ننفض الغبار على كثير من المواضيع التي ربما نعتبرها نحن من الثانويات لكنها في الحقيقة يعتبرها العارفون في هذا المجال من الأساسيات، كونها تطرح نوع من التاريخ الاجتماعي والثقافي الذي حجب لمدة طويلة، وبالأخص التاريخ الإجتماعي والثقافي الذي تنفرد به حواضر المغرب خاصة تلك المواطن التي استقبلت العثمانيين واستوطنتهم .

ومن بين أهم المدن التي تم اللجوء إليها منطقة شرشال حيث تم استقرار العثمانيين بها وتعايشوا مع السكان الأصليين، فكان إسهام هذه الفئة كبير في مختلف المجالات خاصة في الجانب الإجتماعي والثقافي والذي لا زلنا نلتمس آثاره إلى يومنا هذا.

فمن خلال وثائق المحاكم الشرعية كعقود الزواج والطلاق والبيع والشراء وعقود التركات، نستطيع استخراج بعض العادات التي تم اكتسابها من خلال التأثر بهذه الفئة كنوعية وكمية المهور والجهاز ..

كما كان لإختلاط هذه الفئة مع السكان الأصليين تأثيرا كبيرا في العادات والتقاليد مثل اللباس وكذلك الطبخ، مما جعل للمجتمع الشرشالي خصوصية ينفرد بها عن المناطق المجاورة .

فالموروث الحضاري العثماني في منطقة شرشال لم يقتصر على الجانب الإجتماعي فقط بل تخطى ذلك الجانب الثقافي والمعماري كالمباني ذات الطابع العثماني، والتي لازالت آثارها موجودة إلى يومنا هذا مثل حي عين قصيبة والحمامات...

وعليه فإن قدوم العثمانيين إلى شرشال وغيرها من حواضر المغرب الأوسط كان له تأثيرا و دورا كبير في إثراء الحضارة الإسلامية في بلاد المغرب، والإسهام في جعل سكانها يعيشون في عالم يعرف المدنية والتعايش بين الأديان، امتزجت فيه شعوب أسهمت في بناء حضارة المغرب الأوسط .

Résumé

Cherchell par sa situation géographique, jouit de grands avantages naturels et Réunissait toutes les conditions pour être le Outhan le plus important parmie les Outhanes de la Régence « Dar Soltane » et une ville d'accueil des ottomans, elle reçût une majorité de ces personnes qui provenaient de différentes régions de l'état ottomans.

A travers les archives de la série Mahakim chariya de Cherchell comme les actes de mariage, de divorce et des wakfs ….On peut trouver des traditions acquises par les Cherchelois influencé par ces ottomans comme la qualité et le montant de sadaq, de Trousseau...

Le mélange entre ces ottomans et les Cherchelois a influencé les coutumes et les traditions de ces dernier, comme les vêtements, la gastronomie et qui a donné a la société Chercheloise une spécificité unique par a port a ces environs.

مقدمة

تتميز حواضر الجزائر بتاريخ اجتماعي وثقافي كبير ومهم، وبالأخص تلك المواطن التي عرفت التواجد العثماني بشكل كبير، ومن بين أهم هذه المواطن التي تم استوطانها من طرف العثمانيين منطقة شرشال التي تم استقرارهم بها وتعايشهم مع السكان الأصليين، بما فيهم الأندلسيين، فكان إسهامهم كبير لازلنا نلمسه إلى اليوم في مختلف المجالات، ففيما يتمثل الموروث الحضاري العثماني في منطقة شرشال؟ وما هي أهم مظاهره ؟

1 – التواجد العثماني بشرشال :

يعود التواجد العثماني بشرشال إلى القرصان قارة حسن الذي كان قد سيطر عليها بعد إنفصاله مع مجموعة من الأتراك عن جند القائد عروج، حيث كان غازيا معه في بداية الأمر فإستطاع قارة حسن أن يدخل شرشال، فبايعه سكانها الأندلسيون الذين كانوا قد هاجروا إليها من غرناطة وبلنسية وأراغونة، وعينوه قائدا على هذا البلد [1].

وفي سنة 1516م إتجه عروج برا رفقة 800 تركي إلى شرشال التي كانت تحوي 500 ساكن، وحتى يتمكن من أخذها من قارة حسن دخلها برا وبحرا، فإستسلم هذا الأخير وذمج جيشه في جيش عروج، بعدها أقام القائد الجديد حامية في المدينة تتكون من حوالي 100 جندي ثم سار نحو مدينة الجزائر[2].

دخلت منطقة شرشال تحت حماية عروج، الذي أمر بتشييد القلعة والميناء في (924 هـ – 1518م) [3]، وعندما خلفه خير الدين عين عليها قائدا يساعده مجلس من 10 أعيان، مهمته الحفاظ على الحكم العثماني فيها وقمع قبائل بني مناصر المناهظة له [4]، وبذلك أصبحت شرشال مقاطعة من مقاطعات دار السلطان .

2 – شرشال مقاطعة عثمانية :

كانت مدينة شرشال تعد مركزا من مراكز الدولة الجزائرية الحديثة، فقد عمل عروج على تحصينها لأهمية موقعها وشيد فيها قلعة قوية، وأقام فيها مصنع لتأمين متطلبات الجيش العثماني لإمداده بالمواد التموينية، كما أقام فيها مصنع

للأخشاب يعتمد على غابات (الونشريس) والغابات الكثيفة المجاورة [5] .

ثم إن شرشال بمركزها الطبيعي الممتاز الذي جعلها تتوفر على موقع إستراتيجي هام، فهي تقع فيما بين مدينة الجزائر (120 كلم غربها) وبين مدينة وهران، بالإضافة إلى أنها قريبة من جزر الباليار وإسبانيا فالوصول إليهم لا يتطلب سوى 20 ساعة [6].

فأصبحت بذلك تعد من أهم المراكز التي يزخر بها الساحل الجزائري، مما جعلها تكون في مقدمة الأطماع الإسبانية.

3 – دور العثمانيين في حماية شرشال :

شهدت شرشال حملات صليبية، ففي سنة 1531م كلف الملك شارلكان الأميرال أندري دوريا بحملة لغزو شرشال، فأنزل هذا الأخير حوالي 1500 مقاتل كانت تحملهم عشرين سفينة [7]،عندما رأى البحارة أسطول دوريا يقترب من شرشال قاموا بالتحصن في القلعة، ولما كان رجال العدو منهمكين في تحرير الأسرى المسيحيين ونهب ما وجدوه في المرسى والمدينة، انتهز البحارة هذه الفرصة وفتحوا أبواب القلعة وقاموا بهجوم خاطف على رجال دوريا، هذا الأخير الذي لم يكن يتوقع هذه المفاجأة [8] .

وفي صباح اليوم التالي تجمع الأتراك الذين شتتهم الصدمة الأولى وانضموا إلى سكان المدينة وهم من الأندلسيين، وانهالوا على جنود أندريا دوريا المثقلين بالغنائم فأحاطوا بالعدو ومنعوا تجمع هذه الفرق، كما حالوا بينها وبين البحر في حين كانت مدفعية القلعة تقذف الأسطول الإسباني، قدرت خسائر الإسبان 1400 قتيل، في حين استولى الأتراك والأندلسيون على أكثر من 600 أسير [9] .

بادر دوريا بمغادرة أرض المعركة عندما سمع بقدوم أسطول الجزائر بقيادة خير الدين [10] حيث يقول « ...عندما بلغني هجوم دوريا على شرشال خرجت إليه في أربعين قطعة، إلا أنه ما إن علم بخروجي حتى غادر شرشال ولم أدرك سوى أسطول صغير تابع له تمكنت من الإستيلاء عليه بعد معركة عنيفة... فإنجلت المعركة عن استشهاد أكثر من ثلاثماية شهيد من رجالنا بينما تمكنا من الإستيلاء على الأسطول... فبلغت سفني ستين قطعة.... قدمت بها جميعا إلى مرسى شرشال..» [11].

من خلال هذه الحملة نستطيع الكشف عن الدور الذي لعبته الحامية العثمانية، والتي إلتحمت مع سكان شرشال التي كانت مسكونة في الأغلب من قبل المهاجرين الأندلسيين، الذين يعرفون كيف يحاربون الإسبان واستطاعوا التصدي للحملة.

4 – النسيج الإجتماعي لمدينة شرشال:

تميز النسيج الإجتماعي لمدينة شرشال بالتنوع، منعزلة بين البحر والمرتفعات المجاورة ، عرفت شرشال في القرن 10 م الفاتحين الأوائل ، ثم في أواخر القرن 15 م وبداية القرن 16 م اتصال أندلسي مهم تمثل في إقامة الموريسكيين بها الذين طردوا من اسبانيا [12]، وكذلك التواجد العثماني الذي تزامن مع تواجد الموريسكيين وخلف العنصر الكرغلي[13]، بالإضافة إلى الإحتلال الفرنسي في القرن 19 م الذي ولد تواجد المستوطنين الأوربيين واليهود بالمنطقة[14].

وفي هذا السياق وجدنا وثيقة (عقد وكالة) من وثائق المحكمة الشرعية بشرشال يرجع تاريخها إلى جمادى الأولى 1327هـ – جوان

1909م، تم فيها توكيل الولية خزناجي يمونة بنت أحمد التركي ، السيد هراوي سي محمد بن عبد الرحمان « ... إلى محل سكنى الولية خزناجي يمونة بنت أحمد التركي وإبنتها زهيرة بنت أحمد الملقبة بوهراوة الساكنتين بشرشال حومة عين قصيبة ..... أنهما وكلتا هراوي سي محمد بن عبد الرحمان ...» [15]، كما عثرنا على (عقد إلتزام بنفقة) يرجع تاريخه إلى 20 جويلية سنة 1914م، تم فيه إلتزام ابن حمدين اسماعيل بن محمد الساكن بشرشال بنفقة شقيقته ابن حمدين لالاهم بنت محمد زوجة كرغلي بن حميدة بن يوسف « ... حضر ابن حمدين اسماعيل بن محمد الساكن بشرشال وأشهد على نفسه أنه إلتزم بنفقة شقيقته ابن حمدين لالاهم بنت محمد زوجة كرغلي بن حميدة بن يوسف الترجمان بالأصنام ....» [16]، وعليه فإن

التواجد والتأثير العثماني كان موجودا في النصف الأول من القرن 20 م.

5 – عائلات ذات الأصل العثماني بشرشال :

من خلال الدراسة الميدانية لمجتمع مدينة شرشال، تم التعرف على أهم العائلات ذات الأصول العثمانية، كما أرشدتنا إلى ذلك وثائق المحاكم الشرعية بشرشال التي تتوفر على كم هائل يخص هذه العائلات، وهذا من خلال ألقابها التي تعود أصولها إلى العناصر العثمانية التي قطنت شرشال خلال المراحل المختلفة للتواجد العثماني بالجزائر، ومن أهمها وثيقة (عقد فريضة) بتاريخ جمادى الأولى 1327هـ – جوان 1909م شهد فيها « ... هراوي سي محمد بن عبد الرحمان و ... أنهم يعرفون المرحوم أحمد بن مصطفى بن بن عودة بوهراوة .... أنه توفي ..... عن ورثته **وهم** زوجته خزناجي يمونة بنت التركي....» [17].

كما وجدنا وثيقة أخرى تعود إلى نفس التاريخ وهي (عقد إخبار) تم فيه حكم بين بوهراوة مصطفى بن أحمد، وزوجته بوهراوة عايشة بنت سي براهم من شرشال على أن الزوج المذكور يؤدي لزوجته جميع مابقي لها من الصداق [18] .

كما يشير ستيفان قزال إلى القائد التركي وهو بوهراوة الكبير الذي كان يشرف على برج شرشال[19]، رفقة بعض العمال، ومن أهم القادة الأتراك الذين تداولوا على هذا المنصب هم : الحاج مصطفى بومحراز – بوهراوة الكبير – سليمان – عبد الرحمان بن رجم – بن عودة بن هراوة – بير رجم – كرليل – محمد بلهوان – براهم صهر الرايس حميدو– حساين بورقيبة [20].

وعليه فقد قمنا بعرض لأهم العائلات الشرشالية ذات الأصول العثمانية، والتي مازالت موجودة إلى يومنا هذا في مجتمع مدينة شرشال في الجدول التالي :

جدول رقم 1: أهم العائلات ذات الأصول العثمانية (استنادا على الوثائق المتحصل عليها)

رقم الوثيقة	رقم السجل	ألقاب العائلات
(371) (190)	م . ش . س : (1908 à1909 / L 071 -388 R) بدون سجل	عائلة بوهراوة نفسها
(350) (394)	م . ش . س : (1908 à1909 / L 071 -388 R) بدون سجل	عائلة هراوي نفسها
(331)	م . ش . س : (1908 à1909 / L 071 -388 R)	عائلة خزناجي
(1077)	بدون سجل	عائلة قارة حسان
(439)	م . ش . س : (1895 à1897 / L 179 -826 R)	عائلة يوسف خوجة

6 – الموروث الحضاري العثماني في شرشال:

أ – المظهر الإجتماعي :

لقد حرص أفراد مجتمع مدينة شرشال على التمسك بتقاليدهم وعاداتهم الإجتماعية، والملاحظ على هذه العادات والتقاليد أنها تتشابه مع عادات مجتمع الجزائر العاصمة والبليدة والقليعة ...إلخ، وهذا نظرا للتأثر الذي شهدته كل الأوطان الجزائرية بعادات وتقاليد المجتمعات التي استقرت في المغرب العربي عبر العصور من مسلمين وأندلسيين وعثمانيين، فهناك عادات تخص الملبس والمأكل والمعيشة واحتفالات الزواج والختان وغيرها.

فمن خلال وثائق المحاكم الشرعية الخاصة بمدينة شرشال والتي تعود إلى النصف الثاني من القرن 19م والنصف الأول من القرن 20م، نستطيع استنتاج معلومات وتفاصيل وافية عن مختلف جوانب الحياة الإجتماعية داخل الأسرة الشرشالية [21]، والمعروف عنها أنها لعبت دورا هاما في الحفاظ على الموروث الإجتماعي والثقافي والروحي الأندلسي والعثماني.

– مميزات الزواج:

الصداق :

اشتمل الصداق على مبلغ نقدي ومكونات أخرى كالقفطان والغليلة و الحايك والحزام والجوهر، فبعضها كان للإسهام في تأثيث البيت الزوجي، والبعض الآخر شكل جزءا من جهاز العروسة، والملاحظ أن هذه الممارسات الشائعة عند مجتمع مدينة شرشال شبيهة بتلك التي بمجتمع مدينة الجزائر.

يعد القفطان أحد المكونات الأساسية للصداق، فقد إختصت به بنات العائلات الثرية والحضرية [22]، فلم يكن في متناول مختلف الفئات من مجتمع مدينة شرشال، وهذا لغلاء سعره [23]، يعود أصله للعثمانيين، يعتبر لباس الأبهة والفخامة ، يصنع خاصة من القضيفة إضافة إلى أقمشة أخرى مثل الساتان والدمشقي [24].

كما اشترطت هذه العائلات في صداق بناتهن توفير الخادم، ويتعلق الأمر بصداق فاطمة ابنة مصطفى بهراوة[25] ، الذي قدمه لها ابراهيم بن السيد محمد السعيد نجل ابراهيم الغبريني، والذي تضمن في مكوناته الخادم الذي قدرت قيمته أربعماية فرنك [26].

حرصت هذه الأسر ذات الجاه

والمكانة الظهور بمظهر الأبهة والرخاء، فاشترطت في صداق بناتهن المصاغ الذي تكوّن من عدة أنواع مثل» أزويج مقفول ذهب»و»مسايس ذهب «و»البزايم « و»الأونايس ذهب أو فضة «و»الرديف «و»الدح» و»الجوهر» و»الخلخال» و»الخاتم»

و« السلطاني « و« الربع سلطاني ذهب »[27].

وهكذا نرى أن المصاغ انحصر في الأسر ذات الحسب والنسب والثراء مثل عائلة بوهراوة – بن دوردة – الغبريني – أحسايا – مزغراني – و أسراف ...إلخ

أما الصوف فقد ورد ذكرها في حالة واحدة من صداق الغبريني بن عبد المالك الغبريني إلى يامنة بنت محمد بن قار حسان [28] .

وعليه فإن الصداق في مدينة شرشال تحكمت فيه عوامل عدة أبرزها الإنتماء الإجتماعي، فارتبط غلاء المهر بالوضعية الإجتماعية للزوجة والزوج، بالإضافة إلى مكونات الصداق التي تعكس موروثا حضاريا لعادات وتقاليد تأثرت بالوجود الأندلسي والعثماني في المنطقة، وهذا ما جعل بعض العائلات الشرشالية تتبنى الزواج على العرف، والفرق بين زواج الصداق وزواج على عرف سيدي أمعمر هو أن الثاني لا يشرط فيه الصداق سوى لويزة أربعة دورو، أما الزواج على عرف سيدي مروان فصداقه لويزة اثني عشرة دورو[29] .

وفي الأغلب أن هذه العادة انتقلت من منطقة تنس مقر الولي سيدي أمعمر وتبنتها بعض الأسر الشرشالية في أواخر القرن 19 م وبداية القرن 20 م، حسب عقود الزواج من وثائق المحكمة الشرعية ، وهذا نظرا لتدهور أوضاع معيشة المجتمع الشرشالي نتيجة أوضاع البلاد المحتلة .

الجهاز أو الشوار :

نلاحظ أن كلمة شوار[30] هي المستعملة في مدينة شرشال إلى يومنا هذا، فمعظم عقود الزواج تحوي على مقدار الجهاز الذي تأخذه العروس ومحتوياته وعادة ما يكون الأب أو الجد وحتى الأم الممونين لجهاز ابنتهما

واشتمل الجهاز أو الشوار في مجتمع مدينة شرشال على مكونات كثيرة وذات قيمة مبالغ فيها منها :القمجة – السروال – الفرملة – الخلخال –الإيزار – المخدة – الفوطة – التنشيفة – الغليلة – المحرمة – المضربة، فبعضها كان للإسهام في تأثيث البيت الزوجي والبعض الآخر شكل جزءا من لباس العروسة ومجوهراتها [31].

تعد القمجة أحد المكونات الأساسية للجهاز فهي تشبه قميص المرأة التركية ، أظهرت فيه المرأة مهارتها في تطريزها ، وجعلت منه لباسا ضخما يضاهي قميص المرأة في إسطنبول ، فهي أكثر الأزياء رواجا عند المرأة الشرشالية، فالنساء على مختلف مستوياتهن كن يرتدين القمجة المصنوعة من أقمشة متنوعة فهناك الذهبية والحريرية وتلك المصنوعة بالشاش [32]، ويلي القمجة السروال ويرجح أن يكون قد أدخل إلى الجزائر عن طريق الأتراك[33] ، ويختلف نوعه من سروال للدار المجونح إلى المنور إلى سروال الزنقة ، وحاليا يعد السروال من أهم الأزياء التي تلبس في الحفلات وخاصة العروس الشرشالية.

أما الفرملة فقد تنوعت بين المنورة إلى المجونحة إلى فريملة ذهب، اختصت بها معظم أجهزة بنات العائلات الشرشالية حيث كانت في متناول مختلف فئات المجتمع، وهذا لسعرها

المقدور عليه ، فقد عوضت القفطان بعد إختفائه بالإضافة إلى الغليلة الديمي والمنورة والحريرية وغليلة الملف و المجونحة والغليلة الشامي التي حرجها فضة، ويليها المحرمة التي تلفظ بالعثمانية بضم الميم وسكون الحاء وفتح الراء ، تندرج ضمن لباس الرأس الخاص بالنساء وقد تنوعت من محرمة الفتول إلى محرمة الحرير إلى الذهبية ، أما الفوطة فأغلبها مصنوع من حرير فلم تأخذها كل بنات شرشال في جهازهن بل القليل منهن، ثم التنشيفة التي إعتنت المرأة الشرشالية بطرزها بأجمل الألوان في العهد العثماني ثم البليطة التي لازالت العروس الشرشالية تأخذها في جهازها الحالي، وعادة ما تكون من كتان مطرز بالحرير أو تصنع من خيط الصوف (بليطة الصوف) ، وبنيقة الحمام التي بقيت المرأة الشرشالية تفضل استعمالها إلى وقتنا الحالي في الحمام ، والتي تظهر براعتها في تطريزها .

كما ذكر كل من الحزام الحريري المذهب وأحزام حرير وبليغة الصوف والتكة المرقومة ، أما المصاغ فمنه أزويج مقفول ذهب والخلخال والمسايس والاونايس ذهب والبزايم وعقد الصديف و النقود الذهبية كالربع سلطاني ذهب والنصف سلطاني والسلطاني [34] .

ومن مكونات الجهاز عند مجتمع مدينة شرشال الفراش والأثاث مثل : إيزار الفراش وإيزار الحط وإيزار باب البيت وحايك الصوف للغطا والمسند والمضربة والمطرح والمخايد والقطاعيات والصندوق [35]، وعليه فإن الجهاز الضخم اقتصر على بنات الخاصة وكانت هذه المكونات مكملة للصداق .

ب – المظهر العمرا ني :

– حي عين قصيبة [36] :

لقد أشار الرحالة الألماني هاينريش فون مالتيسان «..... إلى أن أغلب منازل شرشال ذات الطابق الواحد وأكثرها مغطاة بالبلاط الملون ، وهي لطيفة المنظر إذا قيست بمنازل الأروبيين الشبيهة بالثكنة ....» [37].

عرفت شرشال نهضة جديدة وذلك بقدوم الأندلسيين ومن بعدهم العثمانيين ، فتنوعت مظاهرها العمرانية فمدينة شرشال كانت تتمثل في عين قصيبة ، التي مرت عبر مرحلتين عرف خلالها نسيجها العمراني تطورا وتكاملا كبيرين، فالمرحلة الأولى تتمثل في الفترة الأندلسية (1492 – 1516 م) بنيت خلالها المساكن على محور مستقيم ، أما المرحلة الثانية تتمثل في الفترة العثمانية من (1516 – 1840 م) عرفت خلالها القصبة تطورا كبيرا وجاء تخطيطها على النمط الذي عرف في المرحلة الأولى فزاد توسعها على حساب الجهة الشرقية للمدينة الأندلسية حول مسجد مئة عمود بالجهة الغربية ، وتوسعها الكبير في الجهة الجنوبية الشرقية للمسرح الروماني ، وما يميز هذه الفترة الحرص على الجانب التحصيني للمدينة لحمايتها من أي عدوان خارجي .

أما المساكن فبنيت بنمط منتظم على شكل مجمعات سكانية منفصلة على بعضها البعض، فقد جاءت متراصة فيما بينها يتكون أغلبها من طابق واحد يتوسطها صحن مكشوف تحيط به حجرات عديدة ،وهذه الظاهرة منتشرة بكثرة في بلاد الأندلس، أما سقفها فجعل مائلا على جهة أو جهتين تكسوه قطع من القرميد النصف الأسطواني أحمر اللون[38]،والملاحظ على حي عين قصيبة أنه سمي بذلك نسبة إلى العين الموجودة شرق القصبة .

كانت بالمدينة في العهد العثماني أسواق شعبية داخل أسوارها، نذكر منها « سوق اللوح «

والذي حسب الرحالة الألماني هاينريش فون مالتيسان أنه كان بجوار المسجد الكبير [39] .

– نماذج لمنازل شرشال ذات الطراز العثماني :

منزل يوسف خوجة :

يعتبر المسكن من أقدم النماذج للمسكن العثماني في شرشال، فهو يتوفر على الوحدات الأساسية مثل الصحن والسقيفة والبئر إضافة إلى الأعمدة والتيجان ، يعد يوسف خوجة من أهم الشخصيات التي سكنت هذا المبنى في الفترة العثمانية ،وحاليا هو ملك لعائلة قدور يوسف خوجة، وهو يقع في الجنوب الشرقي لحي عين قصيبة [40] .

منزل برجم :

يقع هذا المسكن في الناحية الشرقية الجنوبية من حي عين قصيبة ، وهو يعود إلى الفترة العثمانية ، يعرف محليا بمنزل برجم نسبة إلى العائلة التي سكنته ، يتكون هذا المنزل من طابقين وواجهة رئيسية في الجهة الغربية ، يفتح بباب خشبي وهو مهجور حاليا.

منزل عائلة نـوار :

يقع في الناحية الشمالية الشرقية للقصبة ، وحسب رواية العائلة التي ماتزال تقطن به، أنه كان يسكنه « الآغا موني « أحد أعيان المدينة في العهد العثماني .

منزل آسيا جبار :

يقع في الجنوب الشرقي من حي عين قصيبة، يعود تاريخه إلى الفترة العثمانية ، يعرف محليا بمسكن « آسيا جبار « ، وهو يتكون من طابق واحد وواجهة رئيسية في الجهة الشرقية تطل على شارع سيدي إبراهيم الغبريني .

تميز المظهر الخارجي لهذه المنازل بالبساطة، وهذه الخاصية تميزت بها منازل قصبة الجزائر في العهد العثماني ، وهي تعكس إعتناء صاحب المنزل بداخله أكثر من خارجه [41] .

ـ الحـــومـــات :

رغم التغيرات التي أدخلتها الإدارة الفرنسية على الأحياء « الحومات « في مدينة شرشال ، فإننا نجد أن معظمها حافظت على أهم المرافق التي وجدت فيها خاصة في السنوات الأولى من الإحتلال ، فكل حومة كانت تتوفر على المرافق الضرورية من مسجد وكوشة وعين وسوق وحمام : فنجد مثلا حومة حمام الشيخ تتوفر على حمام وكوشة [42] .

ليس من السهل تعداد حومات مدينة شرشال لتناثر الأخبار عنها ، فقد عثرنا على وثائق المحكمة الشرعية تخص مدينة شرشال إبان القرنين 17 و 18 م ، ذكرت في بعضها حومات شرشال منها : حومة الجامع الأعظم – حومة المسيلة – حومة الأبراج – حومة بالي آغا ـــ حومة سيدي القلفاط – حومة عين قصيبة ...إلخ [43] .

– الحمامات :

تعتبر مدينة شرشال من أهم المدن الجزائرية التي أبدع العثمانيون في تشييدها ، فقد حرصوا على توفير كل المرافق الضرورية بها ومن بينها الحمامات ، إذ يوجد بحي عين قصيبة مجموعة من الحمامات يتمركز معظمها في

الجهة الغربية بالقرب من الجامع الكبير (جامع مئة عرصة) ، نذكر منها حمام صاري وحمام الصغير ، وحمام سويلاماس ، وحمام سيدي يونس الذي يقع في الجهة الشرقية من القصبة ،ينسب هذا الحمام إلى الولي الصالح سيدي يونس الذي يوجد قبره بمسكن يحد عمارة الحمام من الناحية الجنوبية .

إن حفاظ بعض الحمامات على طبيعتها المعمارية التقليدية ذات الطراز الإسلامي، جعل سكان المدينة يحنون إليها في كل وقت والإقبال عليها مستمرا إلى اليوم[44] .

– خان شرشال :

يقع خان شرشال خارج أسوار المدينة من الناحية الشرقية ، ليس ببعيد عن باب الجزائر ، كان مستغلا في الفترة الإستعمارية حسب الرحالة الألماني هاينريش فون مالتيسان

« .... وكان الفندق الثالث قد غير إسمه وأصبح يدعى الفندق التجاري « [45] .

لقد روعي في إنشائه الجانب الإقتصادي والأمني ، وذلك يظهر من خلال حسن إختيار موضعه في المدينة فهو قريب من الميناء وطريق دار السلطان ،هذا ما يضمن نزول التجار به برا وبحرا، إضافة إلى ضمان وصول السلع بسهولة إلى أسواق المدينة وذلك لقرب الخان من الباب الشرقي لها [46] .

– المسجد الكبير أو مسجد مئة عرصة:

عرف مسجد شرشال باسم المسجد الكبير كونه أكبر مساجد المدينة، وعرف كذلك بالمسجد الجامع ويعرف محليا باسم « جامع مئة عرصة «كان له أهمية كبيرة في المدينة، يعود تاريخه إلى القرن 10 هـــ (16 م) بني على نمط مغربي من طرف مسلمي الأندلس على يد أبي عبد الله محمد بن سي عياد الأندلسي قاضي غرناطة ومستشار تركي وكان ذلك سنة 981 هـــ/ 1573 م ،حول المسجد إلى مستشفى عسكري أثناء الإحتلال ، استعاد وظيفته الأصلية للعبادة في أكتوبر 1985م [47]، وصفه الرحالة الألماني هاينريش : « ... بناية المسجد القديم رائعة إلى أبعد حد، فصحونه الثلاثة تقوم على مائة عمود ، ودعائمه لا تخلو من قيمة فنية ، إلا أن معبد الإسلام هذا قد حول – للأسف الشديد – إلى مستشفى عسكري ...» [48].

خاتمة

وختاما فإن قدوم العثمانيين إلى شرشال وغيرها من حواضر القطر الجزائري، أثر إيجابا وبشكل كبير في إثراء الحضارة الإسلامية في الجزائر، وأسهم في جعل سكانه يعيشون في عالم يعرف المدنية والحضارة والتعايش ، امتزجت فيه شعوب وقبائل فأسهمت في بناء حضارة إنسانية راقية في هذا البلد .

الهوامش

(1)- Haédo,Diego. Histoire des Rois d'Alger, éditions grand – Alger-livres , Alger , 2004 , P 26

[2] – عباد، صالح . الجزائر خلال الحكم التركي 1514 - 1830، دار هومة ، الجزائر ، 2005 ، ص 46 .

[3] – برج شرشال أو ما يعرف (ببرج بابا عروج) يقع في الجهة الشمالية لحي عين قصيبة شمال غرب الساحة الرومانية ، يحده من الشمال

البحر ومن الغرب والجنوب مجموعة سكنية ، تم بناؤه على يد « محمود بن فارس الزكي » بأمر من الأمير عروج سنة 924 هـ - 1518 م بمساهمة الجند الأتراك والأهالي ، كان له دور دفاعي في صد الخطر من الناحية الشمالية (البحر) ، إضافة للتحصن فيه أثناء المعارك مثل حملة أندري دوريا ، تم تدمير هذا المرفأ في سنة 1860 م، الكتابة العربية التي وضعت في مدخله موجودة اليوم في متحف شرشال : « بسم الله الرحمان الرحيم / صلى الله على سيدنا محمد وآله / هذت برج شرشال أنشأه القايد محمود / بن فارس الزكي في خلافة الأمير القائم بأمر الله / المجاهد في سبيل الله أروج بن يعقوب بلندنما / بتاريخ أربع وعشرين وتسع مائة »

Stephane, Gzell. Cherchell antique , Iol – Caesarea, Alger, 1952, P 31. (4)-

(5) – المدني ، أحمد توفيق . حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر واسبانيا 1492 – 1792 م ، دار البعث،الجزائر، ص 042 .

(6)- Haédo. Histoire des Rois d'Alger, O p, Cit,p 26.

(7) – المدني. حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر واسبانيا 1492 – 1792 م ، المرجع السابق ، ص 042 .

(8) – بربروس ، خيرالدين . مذكرات خير الدين بربروس، تر: محمد دراج ، ط 1 ، شركة الأصالة للنشر والتوزيع ، الجزائر، 2010 ، ص ص 149 – 150 .

(9)- Haédo. Histoire des Rois d'Alger, O p, Cit,pp 52 - 53.

(10)- المدني. حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر واسبانيا 1492 – 1792 م ، المرجع السابق ، ص 062 .

(11)– بربروس. مذكرات خير الدين بربروس، المصدر السابق ، ص 150 .

(12) -Grand'Henry,Jacques . Le parler arabe de cherchell - Algerie -, éditions peeters, Belgique , 1972 , p 30

(13)- Guin ,L. « Notice sur la famille des robrini de cherchel » ,R. A ,N° 17 , 1873, p 455

(14) – بحيري، يامنة. مجتمع مدينة شرشال في النصف الثاني من القرن 19 م من خلال وثائق المحكمة الشرعية ، مذكرة لنيل شهادة ماجيستير ، السنة الجامعية 2006 – 2007 ، ص 110 .

(15) – أرشيف ولاية تيبازة . سلسلة المحكمة الشرعية ، سجل رقم (R 388- L 071 /1908 à1909)، وثيقة رقم 331: - عقد وكالة خزناجي يمونة بنت أحمد التركي للسيد هراوي سي محمد. 14 جمادى الأولى1327هـ - 2 جوان 1909 م، سوف أشير إلى هذه السلسلة فيما يلي على النحو التالي : - م – ش، س ... في حالة وجود السجل، و أشير إليها على هذا النحو : - م – ش، و.... إذا كانت الوثيقة دون سجل .

(16) - م – ش، س : (R 394 - L 072 516) (/1913 à1914)

(17) - م – ش، س : (R 388 - L 071 350) (/1908 à1909)

(18) - م – ش، س : (R 388 - L 071 371) (/1908 à1909)

(19) – لقد سبق ذكر هذا البرج الذي شيد من طرف عروج

(20)- Guin. « Notice sur la famille des robrini de cherchel » , O p, Cit,pp 451 - 452

(21) – بحيري . مجتمع مدينة شرشال في النصف الثاني من القرن 19 م من خلال وثائق المحكمة الشرعية ، المرجع السابق ، ص 71 .

(22) – **هناك حالة زواج من بين مكونات صداقها** القفطان، والذي قدرت قيمته بثلاثين دورو، وقد خص هذا الصداق فطومة بنت إبراهيم الغبريني البكر التي منح لها الزوج قدور بن محمد الساعيد الغبريني، صداق إثني عشرة مائة زيانية ويعد أضخم صداق ، أنظر : – م – ش، و : 371

(23) – توصلت الأستاذة غطاس، عائشة. في أطروحتها. الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر (1700 – 1830 م) – مقاربة إجتماعية – إقتصادية، أطروحة لنيل شهادة دكتراه دولة في التاريخ الحديث، ج1، جامعة الجزائر، 2001، ص 453، أن الغليلة ورد ذكرها في حالتين فقط مع الحايك في مكونات صداق الدزيريات من سنة 1700م إلى سنة 1800م، فقد كانت مقتصرة على بنات الخاصة، فذكرها عند صداق الدزيريات يعادل ذكر القفطان لدى صداق الشرشاليات « حالة واحدة ».

(24) – طيان، شريفة . ملابس المرأة بمدينة الجزائر في العهد العثماني ، رسالة لنيل شهادة الماجستير في الآثار الإسلامية ، السنة الجامعية 1990– 1991 ، ص ص 106 – 107.

(25)– عائلة بهراوة التركية الأصل، من أبرز العائلات الشرشالية وأكبرها حاليا، تعد من العائلات الحضرية العريقة حيث شغل أفرادها مناصب هامة خلال الحكم العثماني في شرشال، أهمها منصب قايد شرشال الذي شغله بهراوة الكبير في القرن 18 م، أنظر :

- Guin. « Notice sur la famille des robrini de cherchel » , O p, Cit,pp 451 - 452

القرن 19 م من خلال وثائق المحكمة الشرعية ، المرجع السابق ، ص 155.

(32) – طيان . ملابس المرأة بمدينة الجزائر في العهد العثماني ، المرجع السابق ، ص ص 100 - 102.

(33) – بحيري . مجتمع مدينة شرشال في النصف الثاني من القرن 19 م من خلال وثائق المحكمة الشرعية ، المرجع السابق ، ص 158.

(34) – نقد جزائري من الذهب ، وزنه 3 غرامات .

(35) – م – ش، و : 1029 - م – ش، و : 1621

(36) – حي عين قصيبة يقع جنوب الطريق الرئيسية في الجزء القديم للمدينة وهو من أقدم الأحياء ، يعود تأسيس هذه المباني إلى القرن 16 م ، أنظر : - م . ش . و : 3094 ، - م . ش . و : 302 .

- م . ش . و : 757 ، - م . ش . و : 384 . من وثائق المحاكم الشرعية لمدينة الجزائر.

(73)- مالتسان ، هاينريش فون. ثلاث سنوات في شمال غربي افريقيا ، تر: أبو العيد دودو ، ج 1 ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1973 ، ص 161 .

(38) – بوطبة ، محفوظ . دراسة أثرية لنماذج من العمارة العثمانية في مدينة شرشال ، رسالة لنيل شهادة الماجستير في الآثار الإسلامية ، السنة الجامعية -2007 2008 ، ص ص 51 – 52 .

(39) – مالتسان . ثلاث سنوات في شمال غربي افريقيا ، المرجع السابق ، ص 161.

(40)- بوطبة. دراسة أثرية لنماذج من العمارة العثمانية في مدينة شرشال ، المرجع السابق ، ص ص 93 - 94 .

(41)- نفسه ، ص ص 93 – 100 .

(42)- م – ش، و : 783

(43)- لقد عثرنا على وثائق المحكمة الشرعية بالأرشيف الوطني « بئر خادم « تخص مدينة شرشال إبان القرنين

17 و 18م ، وهي رسوم للتحبيس وعقود بيع وشراء وهبات ذكرت في بعضها حومات شرشال منها :

حومة الجامع الأعظم ، أنظر:- م ، ش ، ع : 1 / 46 (69 / 329) – حو مة المسيلة:- م ، ش ، ع : 1 / 46

(70 / 330) – حو مة الأبراج : – م ، ش ، ع : 49 (58 / 331) – حومة الرابطة الفوقية : – م ، ش ، ع :

34 (154 / 18) – حومة بالي آغا : – م ، ش ع : 34 (9 / 24) – حومة سيدي القلفاط : – م ، ش ، ع : 1 / 46

(43 / 334) من وثائق المحاكم الشرعية لمدينة الجزائر .

(44)– بوطبة. دراسة أثرية لنماذج من العمارة العثمانية في مدينة شرشال ، المرجع السابق ، ص 112.

(45)– مالتسان . ثلاث سنوات في شمال غربي افريقيا ، المرجع السابق ، ص 161.

(46)– بوطبة. دراسة أثرية لنماذج من العمارة العثمانية في مدينة شرشال ، المرجع السابق ، ص 117.

(47)– نفسه ، ص 59.

(48)– مالتسان . ثلاث سنوات في شمال غربي افريقيا ، المرجع السابق ، ص 163.

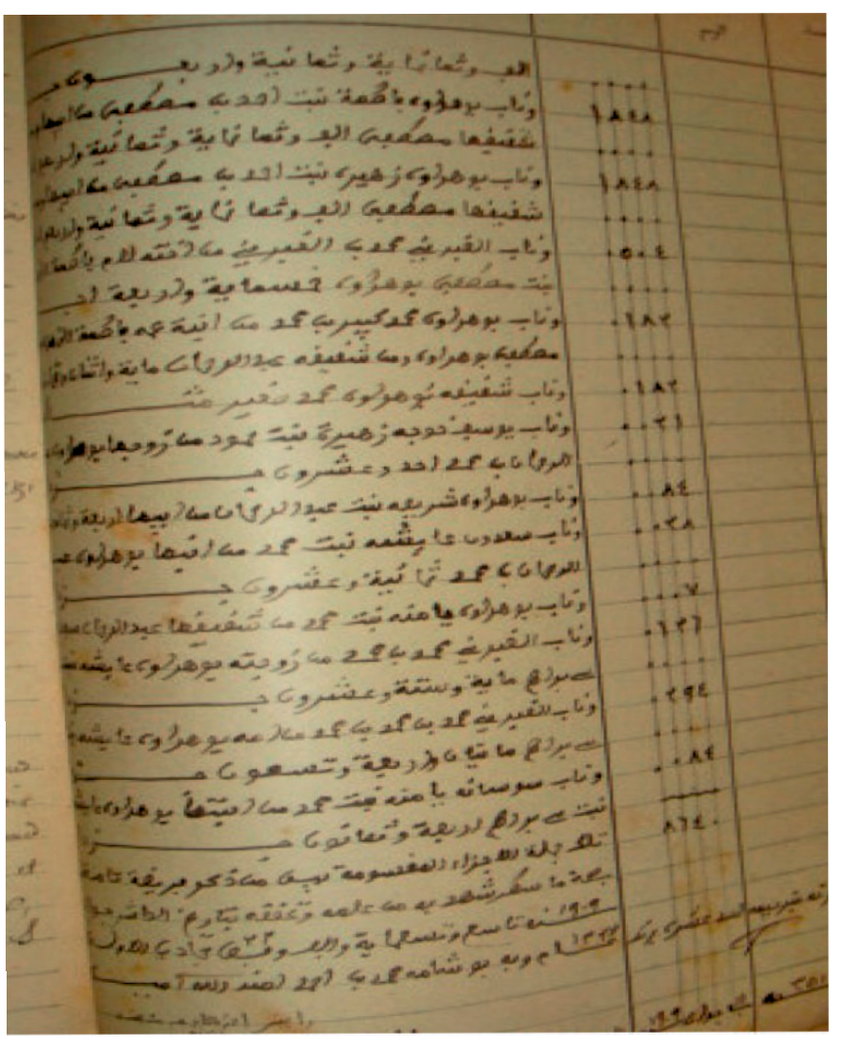

ملحق :

– عقد فريضة هراوي سي محمد بن عبد الرحمان المتوفي عن زوجته خزناجي يمونة بنت التركي بتاريخ جمادى الأولى 1327هـ – جوان 1909م